

التكرار بين البعد الدجائي والجمالية الشعرية

الطالبة: حميات منى

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

يُعتبر التكرار ظاهرة شديدة الأهمية إذ يُمثل بنية أسلوبية مهمة في تشكيل النص الأدبي ويُساهم بشكل كبير في إثراء اللغة، بحيث يؤدي وظائف مختلفة تتوزع بين الوظيفة الإقناعية التي تجعل من القارئ يُعبر عن تجاوبه وتأثره بالنص الأدبي، وبين الوظيفة الشعرية التي تُولي أهمية كبيرة بالجانب الفني للرسالة البلاغية، وقد حاولنا في مقالتنا هذه دراسة ظاهرة التكرار وتحليله انطلاقاً من الأبعاد الدلالية التي يضيفها على اللغة، وقد أفضت الدراسة إلى اعتبار التكرار أداة لغوية بارزة تلتقي فيها وظيفة الإقناع والإمتاع .

Abstract: Alliteration is a very important phenomenon as it represents an important stylistic structure in the construction of the literary text and contributes significantly to the enrichment of the language, so that it leads different functions that are distributed between the persuasive function that makes the reader reflect on his responsiveness and influenced by the literary text, and the poetic function that devotes great importance to the artistic side of the message reporting obligations. We have tried our article in this study the phenomenon of alliteration and its analysis from semantic perspectives that confers on the language. The study has resulted in considering alliteration a literary tool to meet the distinct linguistic function of persuasion and interestingness.

إن المتتبع لمسار الدراسات النقدية والبلاغية وحتى النحوية سيلاحظ ذلك الاهتمام الذي ظفر به التكرار من قبل النقاد والبلاغيين العرب، وإذا كانت البلاغة العربية القديمة قد اعتمدت في دراستها لظاهرة التكرار على إدراجه ضمن صنفين مميزين هما تكرار لفظي وآخر معنوي، فإن الأسلوبية الحديثة قد حاولت هي الأخرى أن تنظر إليه من وجهة نظر مغايرة ومختلفة تعتمد على رؤية معمقة، وشاملة تتوخى البحث في خصوصية الأثر الفني الذي يُحدثه التكرار، من هنا راحت تقبض على مفهوم للتكرار بعد أن تعددت تسمياتها له وتباينت فيما بينها لدرجة "ترجحت لكثرتها بين التكرار والترديد (عبد الله صولة) والترداد (محمد السريغيني) والضرب واستصحاب الدال المعجل والمؤجل (جوزيف شريم) والتكرار النمطي والشكلي (محمد عبد المطلب)"⁽¹⁾.

ولا شك أن التكرار إذ يحظى بكل هذا الاهتمام والمتابعة، فلأنه يمثل ظاهرة أسلوبية وأداة فاعلة ومهمة في إثراء اللغة، بحيث يبتعد عن مجرد اعتباره ضرورة لفظية تُضاف لنسيج اللغة لتزيين النص الأدبي شعرياً كان أم نثرياً، والذي قد يؤدي في بعض الأحيان إلى الإطئاب أو الإخلال بالمعنى، لأن الحديث عن التكرار الذي يخدم اللغة هو حديث عن "التكرار الذي يسمح

التحولات بين البعد الحجاجي والجمالية الشعرية

لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميته⁽²⁾ وما دام أنه "يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة"⁽³⁾ فإنه - بلاشك- سيكون بمثابة "بؤرة دلالية مهمة في النص الأدبي"⁽⁴⁾.

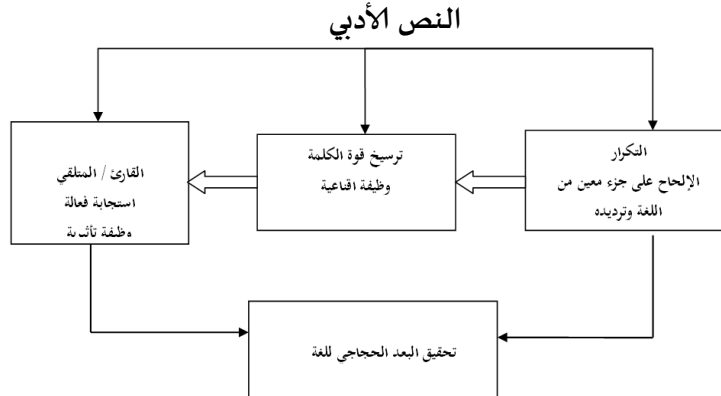
انطلاقا من هنا كان التكرار إحدى البنيات الأسلوبية المهمة التي تُضفي إلى هيكل الخطاب الأدبي وفق نظام لغوي يتغيا تحقيق الأبعاد الدلالية والجمالية للنص الأدبي، لكن إذا كان التكرار بإعادته لتراكيب لغوية متباينة ومختلفة يهدف إلى إحداث الفعل التآثري في ذات المتلقي، فكيف يستطيع التكرار أن يُجسد ملامح الخطاب الحجاجي ؟ وإلى أي مدى يستطيع أن يشحن النص الأدبي بمتعة تخوله أن يحمل قيمة فنية وجمالية؟.

بين التكرار والحجاج: يعتبر التكرار ظاهرة أسلوبية تعتمد على تقنية ترديد جملة من الكلمات والعبارات بعينها، ومحاولة توزيعها على مستوى نظام اللغة لإعادة بعثها بدلالات جديدة تتلاءم ورؤية الكاتب لها، فالتكرار بهذا يشتغل على قوة الكلمة في ورودها بشكل متباين، ومختلف لأجل ترسيخها في ذهن المتلقي مما يساعد على حدوث عملية التأثير والإقناع، وبالتالي فإنه سيتمنح اللغة الوظيفة الإقناعية .

ولما كان مصطلح الحجاج يحيل إلى "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"⁽⁵⁾، فإن التكرار سيكون بهذا جزءا من العناصر اللغوية التي تهدف إلى تحقيق حجاجية الخطاب الأدبي، ذلك أن الحجاج بما يحيله إلى العلم وموضوعه "يقوم على استمالة المخاطب (أو المُحَاوَج في صيغة اسم المفعول) وتوجيهه وجهة ما"⁽⁶⁾، ومن ثم فإنه يركز على المتلقي ويتوخى التأثير فيه وإقناعه بفاعلية الرسالة الموجهة إليه، والتكرار لديه من الإمكانيات الوظيفية ما يجعله قادرا على تجهيز اللغة وتهيئتها حتى تدخل ضمن ما يُعرف بالخطاب الحجاجي .

يُساهم التكرار بشكل كبير في إضفاء البعد الحجاجي على النص الأدبي، وإكساب اللغة وظيفة إقناعية ذلك أن الكاتب حين يعتمد إلى استعمال تقنية التكرار، فإنه يهدف إلى تقوية خطابه، وتأكيد حضور الكلمة داخل نسيج اللغة فيوجه القارئ لها، ويبعثه على الإحساس بها وبالتالي الانفعال والتأثر بها، وهنا يصبح التكرار "حاجة ضاغطة تُخرج المنشئ في كثير من الأحيان ليظل مشدودا إلى كلمة بعينها إلى أن تبلغ حدَّ الإشباع حينئذ يدعها بعد أن يُفرغ كامل شحناته النفسية فيها"⁽⁷⁾، فكل كلمة لا تتكرر إلا لتؤكد المعنى وتزيد في ترسيخه في ذهن القارئ مما يُساعد على "خلق الانسجام الحجاجي، وفي إنجاح العملية التواصلية"⁽⁸⁾ التي تهدف إلى دفع القارئ إلى الإذعان لسلطة الكلمة المكررة، والاقتران بها الشيء الذي يمنح اللغة وظيفة حجاجية .

فالتكرار بهذا القول يرتبط بالحجاج ارتباطاً وثيقاً ويشترك معه في قدرته على استمالة القارئ والإلحاح على إقناعه عن طريق العرض البرهاني، ففي كل مرة تتكرر الكلمة تؤكد على وجودها، وتبرهن على حضور معناها داخل بناء النص والقارئ لا يجد نفسه حيال هذا إلا أن يعبر عن تأثره، وانفعاله عندها يحصل التجاوب وتُحقق العملية التواصلية هدفها الحجاجي:



التكرار والوظيفة الشعرية : إذا كان التكرار يؤكد على علاقته بالخطاب الحجاجي انطلاقاً من الوظيفة الإقناعية التي يبثها في اللغة، فإن التكرار لا يلبث أن يحمل وظيفة أخرى غير الوظيفة الحجاجية التي كنا قد أشرنا إليها، ألا وهي الوظيفة الشعرية التي تجعله قادراً على تمثيل لغة الشعر في حضورها الفني المميز، وبما أن التكرار هو "ظاهرة شديدة العلوق بجمال الشعر ومصدراً خصيباً من مصادر تنسيل دلالاته وتماسك مكوناته تشدُّ أزر الأساطير وتعتقد لحاماً بين وحداتها اللفظية الناعمة لها"⁽⁹⁾ فإن إدراجه ضمن النسيج اللغوي للنص الأدبي سيجعل من اللغة تحمل بعضاً مما يتميز به الشعر من متعة فنية في الأداء وجمالية في التركيب. إن حضور التكرار في الشعر هو الذي يجعل من التكرار خاصية أسلوبية تكتسب الكثير من خصوصية ومقومات الشعر الجمالية والفنية، والتي تعتمد في مجملها على توظيف اللغة وفق نظام يهدف إلى تفجير اللغة بطاقات دلالية، وإيحائية لذلك يأتي التكرار لكي "يعيد توظيف النظام اللغوي في جاهزيته ويحاول إعادة إنتاجه من خلال نصوص جديدة"⁽¹⁰⁾، وهنا يصبح التكرار عاملاً مهماً في إبراز حيوية النص الأدبي ومنحه شعريته الخاصة، غير أن هذا الارتباط الوثيق بين التكرار كظاهرة لغوية، وبين الشعر كجنس أدبي لا ينفي حقيقة تواجده في أجناس أدبية أخرى، فالتكرار وباعتباره بنية أسلوبية ترتبط باللغة فهذا يعني أنه كما هو ملك للشعر فهو ملك كذلك للنثر، وإنما الشعر قد شحنه وصبغ عليه من طابعه الجمالي والفني والمسألة في الأخير ليست راجعة لأي جنس ينتمي التكرار، بل في تلك الطريقة التي تجعل من التكرار يحول النص الأدبي من رسالة إبلاغية إلى رسالة جمالية مشحونة بالوظيفة الشعرية التي

التحولات بين البعد المجازي والجمالية الشعرية

تجعل من اللغة لغة، ومادام أن النص يؤكد على علاقته بالأدب، فلا بد أن يرتقي ليحمل سمته الأدبية.

فتوظيف الكاتب للترار يجب أن ينطلق من رؤية تعتمد على بعث الأثر الشعري فيه، ولعل طبيعة التكرار ستُساعد كثيراً على تحقيق هذه الوظيفة، ذلك أن التكرار في حقيقة أمره تعبير عن اهتمام الكاتب بجزء معين من اللغة، وإصراره على إعادتها بشكل متوالي مما يوحي بأثرها النفسي في ذات الكاتب وبعث "الحالات النفسية والانفعالية التي تُعد مثيرة للتعبير وحاملة على التكرار"⁽¹¹⁾، وإذا ما استعمل التكرار بطريقة تركز على تكثيف الدلالة وتوليد المعاني الجديدة، فإنه من المؤكد بأنه سوف يؤدي إلى إحداث المتعة الفنية والجمالية، وحيثما تمازجت اللغة بالوهج الإنساني المفعم بالحقائق النفسية والشعورية صار التكرار " يقرع الأسماع بالكلمة المثيرة ويؤدي الغرض الشعري"⁽¹²⁾ وبات قادراً على تحقيق وظيفته الشعرية التي تأتي انطلاقاً من اعتبار الكلمة المكررة تحمل قيمتها في ذاتها، وفي معناها الذي لا يتكرر ليرصف الكلمات الواحدة تلو الأخرى ويُؤذي بذلك اللغة، بل ليؤكد على حقيقتها الجمالية .

جمالية التكرار بين الإقناع والإمتاع : إذا كان التكرار قد اتخذ من اللغة وسيلة مثلى لإقناع القارئ وتوجيه نظره نحوها، فإن هذا التكرار لا يستطيع أن يُحافظ على وجوده كقيمة فنية وأسلوبية ما لم يُركز على إعطاء اللغة جمالية خاصة، والتي تتبدى بوضوح في حضور المتعة الفنية مع الوظيفة الإقناعية مجتمعين معا في التكرار ونحن في رحلة بحثنا عن ظاهرة التكرار قد وجدنا هذه الميزة متوفرة فيه من خلال قصيدة "خطاب في سوق البطالة" للشاعر سميح القاسم، ولعل اختيارنا لهذه القصيدة بالذات دون سواها راجع لأنها - في نظرنا - من أكثر قصائد سميح القاسم تجسيدا لظاهرة التكرار في شتى صيغها اللفظية .

ربما - أفقد - ماشنت - معاشي

ربما أعرض للبيع ثيابي وفراشي

ربما أعمل حجّاراً..وعتالاً .. وكناس شوارع

ربما أبحث في روث المواشي عن حبوب

ربما أحمّد...عرباناً ... وجائع..

ياعدو الشمس.. لكن ..لن أساوم

و إلى آخر نبض في عروقي.. سأقاوم !!..

ربما تسليبي آخر شبر من تُرابي

ربما تُطعم للسجن شبابي

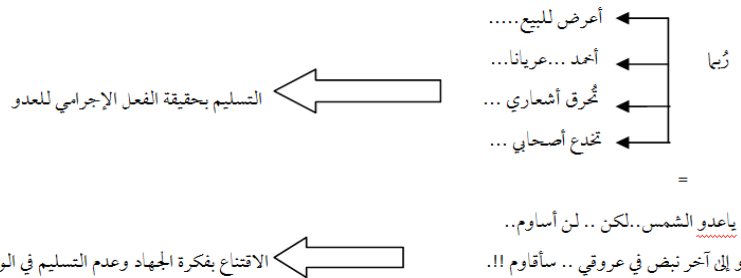
ربما تسطو على ميراث جدي ..

من أثاث .. وأوان.. وخواب..

ربما تُحرق أشعاري وكُتبي
ربما تُطعم لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رعب
ياعدو الشمس.. لكن .. لن أساوم..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !!

ربما تُطفئ في ليلى شُعله
ربما أُحرم من أمي قبله
ربما يَشتَم شعبي، وأبي، طفل، وطفله
ربما تغنم من ناطور أحزاني غفله
ربما زَيف تاريخي جبان، وخرافي، مؤلمة
ربما تحرم أطفالي يوم العيد بدله
ربما تخدع أصحابي بوجه مستعار
ربما ترفع من حولي جداراً وجداراً وجداراً..⁽¹³⁾

صحيح أن هذه القصيدة تُعبر بشكل كبير عن تمازج ذاتي وروحي ينشأ بين ذات الشاعر وبين وطنه الذي يعتبره قضيته الإنسانية والتي تستوجب منه الكثير من الإيمان الكاملو الصادق به، وبضرورة تحقيق النصر له في آخر المطاف، إلا أنها تستثمر في بنيتها اللغوية جملة من مظاهر التكرار حيث تتنوع بين تكرار الحروف "ربما و، لن، لكن، يا" وتكرار الكلمة "أساوم، أقاوم، الشمس جدار" وتكرار العبارة "يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم، و إلى آخر نبض في عروقي سأقاوم"، فالفارئ لهذه القصيدة سيلمس بروز ظاهرة التكرار بشكل متوالي، وربما كانت لفظة "ربما" من أكثر الألفاظ تكرارا على مستوى النظام اللغوي للقصيدة، بحيث تُعتبر منطلقا للتكرار تتناسل من خلالها اللغة وتُوجي بدلالات انفعالية تمنح اللغة وظيفة إقناعية:



فرغم أن الشاعر قد شحن وأكثر من توظيف التكرار في قصيدته، إلا أننا لا نحس بثقل هذه الظاهرة على اللغة، بل على العكس من ذلك لأننا نطرب لها ونشعر بمتعة ونحن نقرأ

التحاور بين البعد المجازي والجمالية الشعرية

القصيدة، هذا لأن سميج القاسم استطاع أن يجعل من الحمولة النفسية سبيلا للعبور لذات القارئ، فراح يُسقط على اللغة دلالات نفسية وشعورية تنتقل للقارئ الذي يكتشف ذلك الشغف بالكلمة المكررة، وبمعناها الذي يأتي في كل مرة بدلالة مغايرة ومختلفة تحمل على الاقتناع بالفكرة التي يُريد أن يوصلها الشاعر لنا ويأتي التكرار هنا بطريقة تخدم اللغة وتؤكد على شعريتها بحيث "تأخذ الألفاظ بعضها بحجز بعض، ويُناغم اللفظ في السياق لفظه وضربيه وتتضام الدوال في نسج يُلائم السياق النفسي والجمالي والهندسي للملفوظ"⁽¹⁴⁾ ومن ثمة فإنه يحدث تناسقا لفظيا ووقعا موسيقيا "يلقي في ضمير القارئ وأفقه هزة ومفاجأة وتطريبا"⁽¹⁵⁾ تستجيب له أذن المتلقي الذي لا يلبث أن يشعر بإيقاع اللغة وبتدفقها الشعري، فكلمة "جداراً" التي جاءت بتكرار متوالي ثلاث مرات قد أضافت للغة شحنات دلالية وانفعالية حتى لكأننا نشعر بإيقاعية الكلمة وتناغمها اللفظي، وليصبح التكرار هنا ذا وظيفة تأثيرية تبعث على الإحساس بفنية اللغة وجماليتها، وسميج القاسم قد أبدع في صياغة قصيدته لأنه جعل من تزاج للوظيفة الإقناعية والوظيفة الشعرية أساسا في استثماره لظاهرة التكرار، فكانت قصيدته مليئة بالصور البلاغية التي أعطت للغة أبعادا جمالية وشعرية .

خاتمة: يمكننا القول بعد هذا كله بأن التكرار بوصفه ظاهرة أسلوبية، فإنه يجمع بين ثنائيه خاصية وميزة تعبيرية متميزة بحيث تجتمع فيها الوظيفة الإقناعية التي تُعد مبدأً أساسيا يقوم عليه الخطاب الحجاجي، والوظيفة الشعرية حيث الكتابة الأدبية التي تعتمد على فنية في الأداء وبراعة في التشكيل، والتي تجعل من النص يُحقق أهدافا جمالية ودلالية تُثري المعنى، وتزيد في حركية وإيحائية اللغة، ومتى فقد هذه الخاصية فقد قيمته الأسلوبية والجمالية، وقد أكد الشاعر سميج القاسم بقصيدته "خطاب في سوف البطالة" بأن التكرار هو بحق أداة لغوية، ولفظية جمالية تلتقي فيه خاصية الإبداع من جهة وخاصية الإقناع اللغوي من جهة أخرى .

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- سليم الشريطي "تكرار في النقد العربي الحديث- قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة - مجلة كتابات معاصرة، بيروت - لبنان، المجلد:16، عدد:64، (2007)، ص:105.
- 2- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت-لبنان، ط:01، 2010، ص:49.
- 3- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط:06، 1981، ص:263.
- 4- ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (1970- 2000)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط:01، 2004، ص:211.
- 5- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربات لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط:01، مارس 2004، ص:456.

- 6- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط:1، 2008، ص:47.
- 7- أحمد علي محمد، التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي، "دراسة أسلوبية إحصائية"، مجلة جامعة دمشق، المجلد:26، العدد:الأول/الثاني، 2010، ص:49.
- 8- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص:51.
- 9- سليم الشريطي "تكرار في النقد العربي الحديث- قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة- ص:112.
- 10- خمري حسين، نظرية النص . من بنية المعنى إلى سمائية الدال . الاختلاف، الجزائر، ط:01، 2007، ص:275.
- 11- السيد عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط:02، 1986، ص:79.
- 12- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص:276.
- 13- ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987، ص:447- 448.
- 14- سليم الشريطي "تكرار في النقد العربي الحديث- قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة- ص:112.
- 15- المرجع نفسه، ص:110.